فترات ركوده وانتعاشه على هواها . ومنهـــا التحرر من « عبودية » حلـــف الاطلسي الـــذي اصبحت اميركا لوحدها فيه اقوى من كل حليفاتها معا . وكانت المناسبة الرائعة التي انتظرتها بعض دول العالم الصناعي لتحقيق هذه الاهداف ، حرب تشرين بالذات حينما قررت الحكومة الاميركية نيابة عن الحلف ودون الحصول على رأيه وموافقتـــه مساعدة اسرائيل بكل الوسائل بما في ذلك نقـل العتاد الحربي اليها من مستودعات اميركا الحربية في الاقطار الاوروبية ، واعلان حالة التأهب الذري ووضع العالم كله على حافة الدمار التام . يضاف الى ذلك ان دولا غربية كثيرة اصبحت عاجزة عن تنفيذ برامجها الاجتماعية والاقتصادية داخل اقطارها لان شركات الاحتكار الضخمة فيها التي اصبحـت اقوى من الحكومات نتيجـــة لسياسة الاندمـــاج الرأسمالي بين اميركا واوروبا وسياسة التداخل الاقتصادي الذي فرضته برامج المنظمة الاقتصادية الاوروبية ... هذه الشركات وعلى رأسها شركات البترول العملاقة تملك من النفوذ ما جعلها تفرض ارادتها على الحكومات سواء كـــانت اشتراكيـــة الميول او رأسمالية الاتجاه . الحكومات الغربيـــة التي كانت تنتظر مناسبة اقص اجنحة الشركـــات الاحتكارية ، وجدت ضالتها في حرب تشرين وراحت باسم الازمة الاقتصادية المرتقبة تطالب بصلاحيات اضافية وسلطات طوارىء . اكثـــر من ذلك ان الوضع السيء الذي قبض بيد حديدية على عنـــق الانظمة الديمقراطية البرجوازية ، اخذ ولاول مرة يقلب الموازين والاساليب التي تعود عليها الساسة « الديموقـــراطيون » . فاذا كانـــوا دائما يلعبون ورقة استغلال نقاط الضعف عند الانسان العـــادي فلا يقولون له سوى ما يحب سماعه ، اصبحـــوا الان يواجهونه بصراحة لم يكن يعهدها فيهم ، على اساس ان الوضع لا يحتمل المواربة او التمويه. وفي كل قطر اوروبي ، ظهر رئيس الوزراء في بضعة اشهر على التلفزيون اكثر مما ظهر في سنوات ، ليقول للناس بلهجة حزينة وصوت عميق وبخطـــوط الارهاق المحفورة على وجنتيه ، ان بلاده تنتظرها ايام عسيرة وان التقشف والبطالـــة يقفان لهـــا بالمرصاد وان على الشعب ان يصمد ويتعـــاون ويضحي في سبيل تفويت الفرصة على الهـــزات الاقتصادية المتوقعة .

في طبيعة الحال ، اشياء كثيرة اخرى كـــانت ضمن حلقات هذا المسلسل الخطير . منها ان دولا غربية كانت تعاني من بوادر الازمات الاقتصاديـــة قبل تشرين ولا تجد الشجاعة لاطلاع الناس علـــى الحقائق .. سارعت الى الاستفادة من حـــرب تشرين وقرارات الدول المنتجة للبترول بالحد مـــن انتاجه ورفع سعره ، لتحويـــل مسؤوليتها عـــن تدهور الاقتصاد في اقطارها الى تلك القرارات ومن اصدر تلك القرارات . منها ايضا قضية المساعدات للاقطار النامية . فالمساعـــدات كانت حتـــى الان وسيلة اخرى من وسائل الضغط على حكومـــات الاقطار النامية والاستغلال والاستثمار المالي فيها. وعندما استقر في وعي الحكومات الغربية ان الدول النامية نتيجة لحرب تشرين اصبحت تبحث عن طرق اخرى للحصول على المساعدات تعتمد على توثيق وتصعيد التعاون فيما بينها ، راحت تفكر في عمليات انقاذ سريعة لكي يكون لها فيما ستؤول اليه الامور نصيب . من تلك العمليات ، النظر في امكانيـــات فتح ابواب السوق الاوروبية المشتركة للـــدول الافريقية دون قيود كثيرة ، والموافقة على بيـــع الاسلحة ، والتبرع باستثمارات مالية جديدة مجردة من القيود تماما . واخيرا ، هناك مسألة مـــا يتوقعه نفر ليس بقليل من مفكري الغرب بصـــدد التغيرات التي ستطـــرأ علـــى الاساس الفكـــري والعقائدي لاقطار الديمقراطية الرأسمالية . ففي هذا المجال يرى هؤلاء المفكرون ان نقص الطاقـــة في عالم رأس المال معناه اهتزاز كل المبـــادىء والقيم التي تقوم عليها تلك المجتمعات .

اذن ، ليس بالامر البسيط ما احدثته حـــرب تشرين على المستوى الاوروبي والعالمي . وليس من الممكن وهذا هو الحال ، ان يقف اعداء العرب مكتوفي الايدي وهم يرون العرب يلوحون بايديهـــم في وجه العالم الصناعي الغربي ، بقوة وتصميم ، منذرينه بضرورة التعقل والكـــف عـــن مساعـــدة اسرائيل والبحث عن حلول عادلة منصفة لقضايا الشرق الاوسط . لقد جن جنون هؤلاء وحـــاولوا اول الامر وبكل وسائلهم الشيطانية ايهام العالـــم الغربي بان العرب لا يملكون اسلحة قوية ضده ولا ضد اسرائيل. فلما فشلوا في ذلك راحوا يستعملون كلمة « ابتزاز » بمناسبة وغير مناسبة . فلمـــا فشلوا في ذلك ايضا ، راحوا يهددون بالاحتـــلال